نظرية الفونيم في اللغة

د. انتصار محمد الطياري
قسم اللغة العربية وآدابها – كلية الآداب
جامعة الزاوية

مقدمة:

تدخل المجموعات الكلامية المختلفة في سلسلة من الأصوات المتصلة، والمترابطة فيما بينها، وهذه الأصوات " ينتهي كل منها في الآخر في شكل انزلاقي، ولا يتفق اثنان منها اتفاقا تاما، ولكننا إذا أردنا التحليل اللغوي فإننا نتجاهل عمدًا هذه الانزلاقية الصوتية، وندّعي إمكانية إيجاد الحدود بين صوت وصوت، وإمكان إخراج صوت من هذه السلسلة، وإحلال آخر محله"[1]، وهذه المجموعات الصوتية المختلفة كانت هي الملهم للبُحّاث، والدارسين عند تناولها لوضع خلاصة آرائهم، وما توصلوا إليه من مخرجات في نظرية لغوية، تجتهد في تحري

الموضوعية، والاتسام بالشمول، وقد تعددت مناحي الدراسة فيها، وعُرفت في المنهج اللغوي بـــ **(نظرية الفونيم)**.

المبحث الأول (معنى الفونيم)

أولاً: المقصود بالفونيم:

إن ظهور مصطلح الفونيم (phoneme) في البحوث اللسانية، كان نتيجـــة مـــن نتـــائج الدراسة العلمية، وتوجّه مناهجها التحليلية صوب الدقة، بالإفادة من علم الأصوات التجريبـــي[2]، يقول كرامسكي(kramasky) في اكتشاف الفونيم :" إن ذلك يعادل اكتشاف الطاقة النوويـــة؛ لأن هذا الكشف في مجال علم اللغة ، أدّى إلى ثورة في التفكير اللغوي؛ كما أن كشف الطاقة النووية أدّى إلى ثورة في العلوم التقنية"[3]، ويقوم علم الأصوات الوظيفي بدراسة الفروق الوظيفية بـــين الأصوات، فيدرس الوحدات الصوتية الأساسية، ويقوم بتحديـــدها وتحديـــد وحـــداتها الثانويـــة، وتوزيعها في الكلمة[4]، وقد قدم العلماء بحوثا كثيرة تدور حول فكرة الفونيم، وما الأساس الـــذي تقوم عليه أهو عضوي، أم نطقي، أم سمعي، أم وظيفي، أم نفسي، أم أنه خليط من بعض ذلـــك، أم منها جميعا؟[5]، فنحن "لا نتكلم أصواتًا مفردة، أو منعزلة بل نتكلم أصواتًا متصلة متماسكة، إذ الكلام الإنساني مكون من سلسلة صوتية متعاقبة متشابكة، لدرجة أن بعض الناس يزعمـــون أن التفريق الدقيق بين صوت وآخر، أو وضع حدود واضحة بينهما في الكلام المتصل يكاد يكـــون من المستحيل"[6]. فاللغة الإنسانية في حقيقتها تتكون من كيانات لغوية صغرى، لا يمكن تجزئتها إلى كيانات أصغر منها، وهذه الكيانات اللغوية هي ما يطلق عليها في علم الأصـــوات الـــوظيفي بـــ "الفونيمات The phonemes"[7]، فما معنى الفونيم؟

أ- الفونيم في الاصطلاح الصوتي:

ورد في (معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب) معنى (الفونيم) تحت عنوان الوحدة الصوتية Phoneme، بأنه يمثل مجموعة العلاقات الصوتية المتميزة، فالباء في اللغة العربية تتميز بأنها صوت مجهور، شفوي، انفجاري وحرف الـ (T) في اللغة الإنجليزية، يتميز بأنه صوت مهموس، لثوي، انفجاري[8].

وقد كان تعريف الفونيم مسألة تثير الجدل، والنقاش بين علماء اللغة دائما[9]، وهناك تباين كبير بينهم، يرجع إلى "الاختلاف حول عملية أو أكثر من العمليات، التي يلجأ إليها رجل الفونولوجيا لوصف الفونيم، ويمكن تلخيص هذه العمليات في الخطوات الآتية:

1- المادة الصوتية الخام وعلاقتها بتغيير الدلالة.

2- عائلة الألوفونات والتوزيع التكاملي.

3- رصف الفونيم والألوفونات.

4- تكوين الفونيم الذي يُستعمل كأقل وحدة صوتية مميزة[10].

فهذه الأسباب وغيرها مجتمعةً أدّت إلى تباين العلماء عند تعريفهم للفونيم، فجاءت تعريفاتهم كالآتي:

- الفونيم: " مفهوم مجرد يطلق على الأصوات المتشابهة في لفظها، والموزعة توزيعًا تكامليًّا أو متغيرًا، حسب الألوفونات المكونة لذلك الفونيم"[11].
- الفونيم: " أصغر عنصر لغوي غير قابل للتجزئة، إلى عناصر أخرى أصغر من ذلك"[12].
- الفونيم عند دانيال جونز "عائلة لمجموعة من الأصوات تشمل الصوت الأصلي في تلك اللغة، مع عدد من الأصوات اللصيقة بذلك الصوت، تختلف حسب الطول، والنبر، والتنغيم"[13].

- يعرفه بلومفيلد بأنه "أصغر وحدة لغوية، ذات سمات صوتية مميزة"[14].
- في حين عرّفه فرديناند دي سوسير بأنه "أصغر وحدة صوتية مميزة، تعمل في إطار العلائق البنيوية للنظام الصوتي في لغة معينة"[15].
- ويعرفه في موضع آخر بأنه "مجموع التأثيرات السمعية، والحركات النطقية للوحدات المسموعة، والوحدات المنطوقة كل منها بشرط الآخر"[16].
- أمّا جين اتشيسن J. Aitchison فيرى أن الفونيم "أصغر عنصر صوتي، ذو مقدرة على التمييز بين مفردات اللغة الواحدة"[17].
- ويرى جليسون Gleason أن الفونيم عائلة لمجموعة من الأصوات الكلامية، التي تتشابه في الشكل، وتختلف في التوزيع الفونيمي"[18].
- ويرى إلقن Elgin بأنه "صوت لغوي يشكل جزءًا دلاليًّا في لغة ما، ويُمَكِّن المتكلم لتلك اللغة من أن يميز بين مفرداتها"[19].
- وعُرّف أيضًا بأنه "أصغر وحدة لغوية غير قابلة للتجزئة، لها المقدرة على التمييز بين المفردات اللغوية، ولها متغيرات صوتية تختلف في عدة جوانب، كالمخرج، وصفة الصوت، وكميته"[20].
- وأشار ماريو باي إلى أن الفونيم "مجموعة، أو تنوع، أو ضرب، يضم أصواتًا وثيقة الصلة (فونات)، ينظر إليها المتكلمون على أنها تمثل وحدة واحدة، بِغَضِّ النظر عن تنوعاتها الموضعية"[21].
- أمّا تروبتسكي فيرى أن الفونيم "أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدروس"[22].
- وعُرّف بأنه " أسرة صوتية واحدة، يحتل كل فرد منها موقعًا لا يمكن أن يَحِلُّ فيه الآخر، وأفراد هذه الأسرة تُسمى الألفونات"[23].

- وعرف كذلك بأنه "أصغر وحدة صوتية تصلح في التحليل الألسني، بحيث تبعث صورته اختلافات صرفية، ونحوية، ومفهومية، ودلالية"[24].

وهكذا فقد تعددت تعريفات الفونيم تبعًا لتعدد المدارس، والمناهج، وزوايا النظر، وهي تتفق حينًا وتتباين حينًا آخر؛ ولو أخذنا في تقصّي كل ما قُدم للفونيم من تعريفات، لما انتهينا هاهنا، ولهذا قال دانيال جونز :" لا واحد من التعريفات التي سمعت بها لا يمكن مهاجمته، ولا أظن أنه من الممكن تقديم تفسير لا يترك منفذًا للشذوذ، والاستثناء"[25]. وعموما فإن هذه التعريفات، وإن تباينت مادةً وزاويةَ نظرٍ، فإنها جميعًا تتفق بأن الفونيم وحدة صوتية صغرى، لا يمكن تجزئتها إلى وحدات أصغر منها، وتكتسب المفردة بهذه الوحدة معنى خاصا، يتغير هذا المعنى بتغير تلك الوحدة، على نحو ما نرى في كلمتي:/مَالَ/و/قَالَ/فالميم فونيم، والقاف فونيم، بدليل أننا عندما حوّلنا صورة الفعل/مال/ومصدرهُ (الميل)، إلى صورة الفعل/قال/ومصدره (القول) تغير المعنى.

ج: أصل مصطلح الفونيم والخلاف حولها:

إن مصطلح الفونيم The phonem في حقيقته مصطلح غربي "وقد يكون عالم اللغة السويسري فرديناند دي سوسير F.Desaussure هو الذي استعمله لأول مرة سنة 1873م"[26]. وقد تُرجم مصطلح الفونيم "إلى اللغة العربية بألفاظ عدة، منها: صوت، صوتم، صوتيم، مستصوت، صوت مجرد، لافظ، صَوْتِيَّة، وعُرِّب إلى فونيم، وفونيمة"[27]. وبعضهم آثر تعريبه إلى "فونيم" Phonem حتى تتفق المراجع العربية على ترجمة موحّدة، ومتفق عليها[28]. وهو مصطلح لغوي معاصر "لفظهُ في اللغات الأوربية منقول عن الكلمة اليونانية (phónéma)، وهي تتألف من الكلمة (phóne) التي تعني (صوتًا)، واللاحقة (émat - éma) المختصة بالأسماء، وهي تعني (شيئًا) أو (وحدة)"[29]. أما اصطلاح الوحدة الصوتية المميزة فهو من صنع

واضعي (معجم مصطلحات علم اللغة الحديث)[30] ساقوه تعريفا للفظ المعرّب، أما مؤلفا(معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب) فقد قدّما له ترجمتين مختلفين، فترجماه بالوحدة الصوتية في موضع، وبمخارج الحروف في موضع آخر[31]. في حين تُرجم في الدروس بالصوتم، الذي يمثل "جملة الانطباعات الاكوستيكية، والحركات التقطيعية للوحدة (الصوتية) المسموعة، والوحدة (الصوتية) المنطوقة، وتكيّف كل منها (مع) الأخرى"[32]. وفي (معجم علم الأصوات) ترجمه (محمد الخولي) إلى فونيمة، صوتيم، وصوت مجرد[33]، واختارت له مجلة (الفكر العربي) " في مجلدها 8 – 9 الخاص بالألسنية مصطلحات فونيم، ولافظ، ومستصوت"[34]. وتعريب المصطلح الغربي بـ (الفونيم) هو السبيل الأمثل، لخروجنا من معضلة تباين المصطلح، واضطراب المفهوم، والخروج من التشتت الفكري الناتج عن تعدد الدلالات اللفظية للمدلول الواحد.

ثانيًا: نظريات الفونيم:

لم يُختلف حول نظرية من نظريات علم اللغة، كما اختُلف حول **نظرية الفونيم**، وربما لم تتعدد الآراء، وتتباين المناهج بين مؤيدي النظرية الواحدة، كما حدث بين مؤيدي نظرية الفونيم، ولهذا قال Robins: كمية كبيرة من المِداد قد استخدمت في الجدال حول، وداخل نظرية الفونيم[35]؛ فكان بذلك للعلماء في الفونيم معانٍ شتّى، ومذاهب متعددة، ونظريات متباينة، ومن أشهر هذه النظريات ما يلي:

- النظرية العقلية النفسية:

يرى أصحاب هذه النظرية أن الفونيم: صوت واحد "له صورة ذهنية تجريدية، في استطاعة المتكلم أن يستحضرها في ذهنه، محاولاً أن ينطقها في الكلام الفعلي بدون شعور، لكنه قد ينجح في تحقيق هذه الصورة الذهنية فيعبر عنها بصوت حقيقي، وقد يخفق فيحاول أن يأتي

بأقرب صوت إلى هذه الصورة، وإن لم يماثلها تمامًا"[36]. فابن اللغة " يحتفظ في ذهنه بصور لأصوات لغته، وهو عندما يعيد نطقه لصوت ما، إنما يحاول نطق الصوت بتقليد الصورة العقلية، والانطباع النفسي الذي يحمله عن ذلك الصوت"[37]. وهذا الانطباع هو الذي يبين لمتكلم اللغة العربية مثلاً، أن الإنجليزي عند نطقه لكلمة "نحن" لم يأت بالنون لثوية أسنانية، وإنما جاء بها شبيهة بنون: ينفع، وانكسر[38]. ورائد هذه النظرية Baudouinde countenay الذي يفسر الفونيم تفسيرا نفسيًّا، فيقول: إنها بمثابة "الصورة الذهنية للصوت المنطوق، وتعد هذه الصورة صوتًا نموذجيًّا يهدف المتحدث إلى نطقه، ولكنه ينحرف عن هذا النموذج، إما لأنه من الصعب أن ينتج صوتين مكررين متطابقين، وإما لنفوذ الأصوات المجاورة"[39]. ومن رواد هذه النظرية أيضا تروبتسكوي، ومارتينيه، وغيرهما[40].

وأهم ما وُجّه لهذه النظرية من انتقادات، هو أن استخدام المنهج النفسي، يعني أن اللغوي يلقي عبء شرح وحدته على فرع آخر من العلم[41]، وقد يكون هذا الانتقاد مُجَانِبًا للصواب، إذ لا حرج في أن يستعين اللغوي بغيره من فروع المعرفة المختلفة – لاسيما علم النفس – لتفسير مادته اللغوية، في حدود ما يرتضيه المنطق، والعقل، ومراعاة الأصول المعرفية اللغوية والنفسية المختلفة، وإنما الحرج في الانطواء والتزمت، والتقليل من شأن الاستعانة بالفروع العلمية المختلفة، والاستهانة بالنتائج العلمية المستنبطة من خلال التمازج المعرفي بين الفروع العلمية المتباينة، وعلى الباحثين الانتباه، وعدم الانزلاق وراء الاستنتاجات غير المنطقية، التي تجعلهم يحومون في دوائر مفرغة من الغيبيات، والخيال، والوهم.

– النظرية المادية:

وقد آمن بهذه النظرية دي سوسير، ودانيال جونز، فيرى دي سوسير أن الفونيم: عنصر صوتي في اللغة المنطوقة يقوم على أساسين: عضوي، وسمعي، مشيرا إلى أعضاء

النطق، وأعضاء السمع[42]. ويُعَدّ دانيال جونز Daniel Jones هو المفكر الأول لهذه النظرية، ورائد مدرستها، ويرى أن الفونيم أسرة من الأصوات، متشابهة في الخصائص من الناحية الفونيتيكية، وكل صوت منها يُوزع توزيعًا تكامليًّا، أي أن لكل صوت منها سياقًا خاصًّا، لا يمكن أن يُستعمل آخر محله[43]. ومثاله في العربية فونيم (النون) التي تكون مُظْهَرَةً في مواضع، ومُخْفَاة في مواضع أخرى؛ فتظهر إذا وردت في الكلام قبل الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، ولتأخذ الرمز {ن}، وتكون مخفاةً قبل الأصوات الخمسة عشر الآتية: التاء، الثاء، الجيم، الدال، الذال، الزاي، السين، الشين، الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، الفاء، القاف، الكاف، ولنرمز لها بالرمز {ن} ، وهذه النون المظهرة، والمخفاة تنتميان إلى وحدة صوتية مميزة، هي فونيم النون/ن/بعامة[44]. فجونز يرى أن "واحدًا من هذه الأعضاء عضو رئيسي، والأعضاء الأخرى أعضاء إضافية، أو ثانوية"[45]. والسبب في كون إحدى هذه الأعضاء عضوًا رئيسيًّا، قد يكون نتيجة لكثرة استعماله لغويًا أكثر من سواه، أو لأنه هو الذي يستعمل منعزلاً في السياق الفعلي، أو لأنه في الموقع الوسط بين سائر الأعضاء[46]. والفونيم تميز بين الكلمات، وتعطيها قيمًا لغوية: صرفية، أو نحوية، أو دلالية، كالتمييز الصرفي، والدلالي في نحو: لكَ ولكِ، لوجود فونيم الفتحة في الأولى، وفونيم الكسرة في الثانية. وتسمى نظرية جونز في الفونيم **بالنظرية العضوية التركيبية**؛ لإطلاق لفظ عائلة عليها[47]. ومن مؤيدي هذه النظرية أيضًا جسبرسن، وبلوك، وترايجر[48].

وهذه النظرية تتعامل مع الوحدات اللغوية الصوتية، بعدها شيئا ماديا محسوسا، سواء على المستوى النطقي، الذي يُدرك بالسمع، أو المستوى البصري الكتابي للحرف الذي يدرك بالعين المجردة، فمن خلال هذه المعطيات، خرجت هذه النظرية بالفونيم من المستوى الذهني

الخيالي، للمستوى المادي الواقعي للفونيم، وإن كانت النزعة المادية الصرفة بالفونيم لهذا المنحى، تجعله هي الأخرى لا يسلم من النقد أحيانا.

- النظرية الوظيفية:

تتعدد الاتجاهات اللغوية تحت منطوق هذه النظرية، فبعضها يوضح الفونيم مشيرًا إلى وظيفته كوحدة مناسبة للتعبير الألفبائي[49]؛ فَنُعِتَ بأنه مجموعة من أصوات الكلام متماثلة تقريبا، وبشكل كافٍ لأن تُعَالجَ كوحدة لأغراضٍ ألفبائية[50]. ومعظمها شرح الفونيم مشيرًا إلى وظيفته الأساسية في التفريق بين المعاني[51] " لذلك فالفونيم هو كل صوت قادر على إيجاد تغيير دلالي"[52]. وأشار بعض أنصار هذه النظرية إلى وظيفته في تركيب اللغة، وفي التمييز بين مفرداتها، فقالوا: إن الفونيم مفهوم لغوي، وبالذات مفهوم وظيفي، كما عرفوه بأنه "النماذج الصوتية التي لها قدرة على تمييز الكلمات، وأشكالها" أو "الأنماط الصوتية المستقلة التي تميز الحدث الكلامي المعين، عن غيره من الأحداث الأخرى[53]. وَيَرَوْنَ أن للفونيم وظيفتين: إيجابية وسلبية؛ تكون الأولى عندما تساعد الفونيم في تحديد معنى المفردة التي تحتوي عليه، أما الثانية فتكون عندما تحتفظ بالفرق بين هذه الكلمة، والكلمات الأخرى، وتتضح الوظيفة الإيجابية أكثر إذا حُذف الفونيم فتغير المعنى، وتتضح الوظيفة السلبية أكثر إذا غُيّر الفونيم فتغير المعنى[54]. فمثال الوظيفة الإيجابية إدراك الفروق اللغوية بين المفردات الآتية: نام/صام/قام/هام/حام، ومثال الوظيفة السلبية إدراكك للفرق بين المفردات الانجليزية الآتية:

son - sun * A near - An ear * flour - flower * town - down[55]

فهذه النظرية تنظر للفونيم بعدِّه وسيلة مهمة لتحقيق غاية، هذه الغاية هي الحد الأقصى من العملية اللغوية، من خلال إسباغ المعاني اللغوية المعينة على المفردات المختلفة، وهذه هي

الغاية من وراء أيّ حدثٍ كلامي في أيّ لغة من اللغات، وفي أي وقت من الأوقات، ومتى انعدمت هذه الوظيفة فقدت هذه المفردات قيمتها اللغوية.

- النظرية التجريدية:

ويمثلها العالم الأمريكي توادل الذي يرى أن الفونيم " لا وجود لها لا من الناحية العضوية، ولا من الناحية العقلية، وإنما هي وحدات تجريدية تخيلية مصطنعة"[56]. ويَعُدُّ أصحاب هذه النظرية "الفونيمات مستقلة استقلالاً كاملاً، عن الخصائص الصوتية المرتبطة بها"[57]. وفحوى هذه النظرية أن بعض الأصوات لها ملامح مشتركة كثيرة، يمكن أن تلخص في مثال، أو صورة، أو انطباع ذهني، تعتبر صوتاً تجريديًّا على المستوى الأول، أما المستوى الثاني من التجريد فيكون عندما يستخلص المرء عائلة كاملة، من هذه الأصوات التجريدية في شكل صورة عامة، وهذه الأصوات التجريدية على المستوى الثاني هي الفونيمات؛ وقد وُجِّهَ لهذه النظرية اعتراضاتٍ كثيرة، منها: إن الأصوات الحقيقية إنما تحيى مادامت تحققات للفونيمات، وعلى هذا فالمستوى الأول من التجريد هو الثاني[58]. والواقع أن هذه النظرية تحاول أن تخرج من الإطار المعنوي، واللغوي للفونيم، والتعامل معه بنظرة تجريدية صرفة، مما يحول بينها والوصول إلى نتائج مقنعة في هذا الصدد، وتحوي نوعاً من المبالغة التي لا ترتضيها طبيعة البحث في هذا الموضوع.

- النظرية الاجتماعية:

يرى أصحاب هذه النظرية أن الفونيم وحدة صوتية، ذات وظيفة اجتماعية، فالفونيم يتكون من أصوات جزئية تسمى ألوفونات، أو تنوعات فونيمية، تلاحظها في صوت العين مثلا،

في نحو: (عرف العالم العربي *ضروب العلوم، والمعارف العلمية*)، وتسمى هذه (الْعَيْنَات) صوت العين، أو صوت السين في (سافر سامح إلى سمرقند للتوسط في مسائل سياحية)[59].

ويعرف D.Bolinger الألوفون بأنه" مظهر مادي متباين للفونيم"[60] ، ويرى أنصار هذه النظرية قابلية الفونيم للتحليل، والتجزئة إلى وحدات ألوفونية، ويسمونه أيضا بالمتغير السياقي، وذلك لتحكم السياق الصوتي أثناء تيار الكلام فيه، أو المتغير غير الوظيفي؛ وذلك لعدم تأثيره في تيار المعنى[61]، وتحاول هذه النظرية إضفاء الصبغة الاجتماعية على الفونيم، وذلك بسبب تأثير دراسات علم الاجتماع اللغوي، والنظر للغة بشكل عام بعدها ظاهرة اجتماعية، ولعل اتجاهات هذه النظرية، ونتائجها متداخلة كثيرا مع النظرية الوظيفية للفونيم وتدور معها في الفلك ذاته.

وبالنظر لما سبق من نظريات، وما كتبه أصحابها في هذا المجال، وبغضّ النظر عن وجوه الاتفاق، والاختلاف بينهم؛ فإنه يمكن القول: إن الوصول إلى نظرية لغوية لسانية متكاملة، توضح مفهوم الفونيم، وتكشف أسراره، وتسبر أغواره يكمن في الدمج بين سائر تلك النظريات، وتلافي وجوه القصور فيها، واجتناب مواطن الوهم واللامعقول فيها، والنظر للفونيم بِعَدِّهِ وحدة لغوية مستقلة، لها وجود مادي ومعنوي، وتؤدي وظيفة لغوية واجتماعية.

ثالثا: أصل نظرية الثنائيات الصغرى:

إن أصوات اللغة المحدودة وحدات صوتية مميزة، يُدْرَكُ أثرها في المعاني من خلال ما يطلق عليه اللغويون (الثنائيات الصغرى) فالأصوات اللغوية تتبادل مواقعها، وتتباين معاني الكلمات تبعاً لذلك، كما في: سفير//صفير، نذير//نظير، تين//طين وغيرها[62]. فهناك تشابه ملحوظ بين بعض أصوات العربية مثلاً، ويمكن أن يرد هذا التشابه إلى أحد أمرين، هما:

1- الاتحاد في المخرج، وصفة الشدة أو الرخاوة، نحو: ت//ط ، ذ//ظ مثلاً.

2- التقارب في المخرج، والاتحاد في ملمحين مميزين، نحو: ث//س (الهمس والانفتاح) - ظ//ض (الجهر والإطباق)[63].

فعملية التقابل الأصغر بين المفردات اللغوية، تعد أساسا مهما من أسس نظرية (الفونيم)، ويمكن ملاحظة ذلك في نحو: كلمتي Toy//Boy الانجليزيتين؛ كما يمكن ملاحظته في الكلمات: سار//طار، وغاب//طاب، وفأس//رأس العربية. وبتأمل الأمثلة السابقة نلاحظ تقابلاً لغويا بين تلك المفردات، فالوزن الصرفي مُتَّحِدٌ فيها، كما أن هذه الكلمات متشابهة في سائر الحروف، والحركات باستثناء الحرف الأول، وهذا الاختلاف الفونيمي للحرف الأول، هو الأساس في اختلاف دلالات هذه الألفاظ، وهو الأساس في تكون ما يعرف بنظرية الثنائيات الصغرى[64]. والثنائية الصغرى في العرف اللغوي "مفردتان تتباينان، في وحدة صوتية واحدة، أو الكلمات التي تتباين في صوت واحد"[65]. فإذا أمكن تغيير صوت واحد في الكلمة بشبيه له، وأعطت الكلمة الجديدة معنى مغايرًا للأول، فإن ذلك معناه أن هذين الصوتين المتغايرين يمثلان وحدتين، صوتيتين، مميزتين، متميزتين[66]. ولنظرية الثنائيات الصغرى أصلٌ في العربية، ودليل ذلك وجود ظاهرة الإتباع اللغوي، ومثلثات الكلام؛ والجناس الناقص في العربية[67]، وتفسيرها كالتالي:

- **الإتباع اللغوي:** هو أن "يتفق لفظان متتاليان في الوزن، والروي، بقصد تقوية الكلام، وقد يكون للثاني معنى، كما في: (حياك الله وبياك) فبياك: أضحكك أو قربك؛ وقد لا يكون له معنى كما في (حسن بسن) وقد لا يكون بمعنى الأول، مثل: ضال تال؛ فالتَّال الذي يتل صاحبه، أي: يصرعه، كأنه يغويه فيلقيه في هلكة لا ينجو منها"[68]. واللفظة التي لم تُفِدْ معنى، فالأقرب أنها جِيء بها لإحداث الإيقاع، ومن ذلك قولهم: حيص بيص، حسن بسن، حار بار[69]، ومثله: خاز باز ونحوها، هذا "وقد تفصل بين اللفظين واو العطف، كما في (حيّاك الله وبيّاك) مع

ملاحظة أن اللفظ الثاني لا يمكن استعماله منفرداً" [70]. ومثاله: "الهرج والمرج/السراء والضراء/الصالح والطالح/اليسر والعسر"[71].

– **مثلثات الكلام:** المثلثات في العربية هي الكلمات، التي يجوز في الحرف الأول من كل منهما الفتح، والضم، والكسر، مع اختلاف المعنى في كلٍّ حالة[72]، فيحصل بتغير الحركة تغير في المعنى، وفيه انتقال "من مجال دلالي معين إلى مجال ثانٍ"[73]. ورد في "الدرر المُبَثَّثة" أن المثلثات في كلام العرب قسمان:

1– قسمٌ يتحد لفظه، ويختلف معناه باختلاف شكله، ومثاله: (البرّ). بفتح الباء تعني: الرجل التقي، وبضمها: القمح، وبكسرها: المعروف[74].

2– قسمٌ يتحد لفظه ومعناه، ويختلف شكله[75]، فأحيانا تتعاقب الحركات الثلاث على الحرف، وتتجاور دون أن تؤدي إلى تغيير في المعنى، نحو قولك: رجل بَعْثٌ، وبُعْثٌ، وبِعْثٌ، بالفتح، والضم، والكسر، بمعنى: رجل لا تزال همومه تؤرقه[76]. وهذا القسم غير مقصود في هذه الدراسة.

ولِقُطْرب تلميذ سيبويه في القسم الأول من المثلثات، كتاب يُعرف بمثلثات قطرب، وفيه: الحَمام بالفتح: الطائر المعروف، والحِمام بالكسر: الموت، والحُمام بالضم: اسم رجل وهو معروف، قال الشاعر:

تركت الحمام غداة الوغى وأتباعه مطعم القشعم[77]

ومنه: السَّبت بالفتح من الأيام – والسِّبت بالكسر: النعال اليمانية – والسُّبت بالضم نوع من النبات، وكذلك: السِّهام بالكسر النبال – والسَّهام بالفتح شدة الحر، والسُّهام بالضم لعاب الشمس[78].

***الجناس الناقص:** هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة الآتية: نوع الحروف، وعددها، وهيئتها الحاصلة من الحركات، والسكنات، وترتيبها، مثاله قولهم: " بيني وبينك ليل دامس، وطريق طامس"، وقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾؛ وقوله عليه السلام: "الخيل معقود في نواصيها الخير"[79] وغيرها.

وبالنظر إلى القضايا اللغوية الثلاث التي سبق ذكرها(الإتباع اللغوي- المثلثات – الجناس الناقص) وهي من القضايا الجوهرية في التراث اللغوي العربي، نلاحظ أنها تمثل صلب نظرية الفونيم، ومحورها الأساس الذي تدور حوله وترتكز عليه، بما يؤكد أن أصول هذه النظرية عربية، صيغت بأنامل غربية، حرّفتها عن أصولها، وتلقفها عنهم بنو العروبة، وكأنها إنتاج غريب، لا يَمُتُّ لجذورنا اللغوية بصلةٍ تُذْكَرُ.

رابعا: صور الفونيم:

إن التمييز بين الكلمات في اللغة العربية مثلاً " يكون بصور مختلفة منها:

1- استبدال فونيم بفونيم آخر، كما في:/قال/،/حال/،/دال/،/كال/،/طال/.

2- زيادة فونيم، أو نقصه، كما في نحو:/عدّد – عدّ/و/مدّد – مد/فهناك تمييز صرفي ودلالي بين الكلمتين/عدد – عد/بسبب وجود فونيم الدال (الأخيرة) في الكلمة الأولى، وعدم وجودها في الكلمة الثانية"[80]. وهكذا فإن تغير صورة المفردة تبعا لتغير عدد، أو نوع فونيماتها يلزم عنه حدوث تغير صرفي، ودلالي في المفردة ذاتها.

خامسًا: أهمية نظرية الفونيم:

إن صياغة نظريةٍ علميةٍ للفونيم أمرٌ لا بُدَّ منه، لمتكلم اللغة ومتعلمها، ولا يُزعم في هذه النظرية الاطّراد التام، والكمال المطلق، فهو أمرٌ لا يمكن أن يتحقق في مثل هذه المسألة،

وبإمعان النظر نجد أن أهمية هذه النظرية تكمن في النظر إلى الوحدة الصوتية المميزة، على أنها " صوت أساسي في اللغة، وجوده في الكلمة يحقق لها معنى، وحذفه منها أو استبدال صوت أساسي آخر به يغير معناها، بينما نجد أفراد أو أعضاء هذه الوحدة الصوتية المميزة لا تكتسب خصوصية التأثير في المعنى، إذا ما تعاورت مواقعها، على أن هذا التعاور، أو التبادل لا يمكن وقوعه من الناحية العملية، فكل وجه من وجوه النطق السليم يرتبط بموقع لا يعدوه"[81]. إن صوت/م/،/ق/،/ء/يمثل كل منها وحدات صوتية متميزة في اللغة العربية، وليس أيٌّ منها تنوعًا صوتيًّا للآخر، وذلك لعدم التشابه الصوتي بينها مخرجًا وصفةً، والأصوات غير المتشابهة صوتيًّا تُعد وحدات صوتية متميزة، فتشابه الأصوات هو الأساس في عدّها أعضاء فرعية للفونيم[82]، ومن ثم فالصوت قد يتعدد في الكلام المتصل، ويأخذ صورة مختلفة طبقا للسياق الكلامي الذي يقع فيه ذلك الصوت، فصوت/الدال/مثلاً في العربية: صوت، أسناني، لثوي، شديد، مجهور، مرقق، قد يتحول إلى عدة دالات تتشابه في أمر، وتتباين في آخر، وكذلك الحال في جميع الأصوات الأخرى[83]. إن مسألة التعدد للصوت الواحد تظهر بشكل جلي عند النظر إلى صوت من أصوات العربية وهو/النون/مثلاً التي تعد صوتا أساسيًّا في اللغة العربية، "ولكن ثمة في الواقع درجات، أو تنوعات من النون بحسب سياقها الصوتي، فالنون في نهر من الناحية الصوتية الخالصة، أي: من حيث تكوينها الفسيولوجي، غير النون في منك، وعنك"[84]، وكذلك النون في " إن شاء، وإن تاب، وإن قال، فكل واحدة منها تختلف عن أختها في موضع النطق، ومع ذلك فقد اصطلحنا على ضم هذه النونات جميعا، ووضعها تحت اسم واحد هو صوت النون"[85]. فالنون فونيم واحد " يندرج تحته مجموعة من المتغيرات الصوتية، التي تختلف عن بعضها بعضًا، من حيث مخرج الصوت أوصفته، أو كميته، وفي الرسم التخطيطي الآتي المثال الذي تتضح به الحال:

فونيم النون/ن/:

-(نون) خفية ← إن شاء .

-(نون) ظاهرة ← إن حصل.

-(نون) مدغمة ← إن رأيته. فدارس اللغة العربية دراسةً فونيميةً يدرك – عن كثب – أن/النون/كصوت لغوي له عدة متغيرات صوتية، تختلف عن بعضها بعضا حسب حالات الإدغام، والإظهار، والإخفاء[86]. فالنون تدغم إذا سبقت الأصوات العربية المجموعة في قولهم "يرملون" نحو: عين ماء، إن رأيته وغيرها، وتتخذ النون سمة الظهور، إذا سبقت أحد الأصوات الآتية (الحاء، العين، الهمزة، الهاء، الخاء، الغين، في نحو: مَنْ هؤلاءٍ كلٌّ من عند ربَّنَا، من خاننا فليس منّا). أما إذا سبقت النون أصواتاً مثل (التاء، الطّاء، السين، الشين، الضاد، الظاء) فإنها تكون نونا خفية غير ظاهرة، في نحو: من شاء – إن طار – لن تأتي فاطمة غداً[87]. فأي صوت كصوت (النون) يكون في وضعين هما:

1- أن نعد هذه النون صوتا واحدا من ناحية الوظيفة اللغوية، أي من ناحية قدرتها على تغيير معاني الكلمات، بوصفها ليست باء، ولا تاء مثلاً، فالفرق في المعنى بين/ناب/و/ثاب/راجع إلى وجود فونيم (النون) في الكلمة الأولى، وفونيم (التاء) في الكلمة الثانية، واعتبار كل واحد منهما صوتا مستقلاً[88].

2- أن نعد هذه النون أصواتاً من الناحية النطقية، أي من حيث وجودها في النطق الفعلي، وتأثيرها في السمع، ذلك أن صور النون، وتنوعاتها تمتاز بحالة نطقية محضة تتميز في النطق والسماع، وهذه النونات ليست ذات وظيفة لغوية، إذا تعاورت الأماكن لم تؤد إلى تغيير معاني الكلمات، كالنون في/عنك/و/منك/[89]. من أجل كل ما سبق، وللوصول إلى أبجدية ميسرة رأى العلماء ضم هذه النونات جميعا، واعتبارها راجعة إلى أصل واحد، أو

أنها أفراد أسرة واحدة، تعامل كما لو كانت شيئا واحدا، تأخذ اسما واحدا، هو ما اصطلح على تسميته بالنون، التي اتفق العلماء على تسميتها بالفونيم(90).

وإذا كان من الممكن أن يشتمل الفونيم على صوت واحد، هو الفون phone فهو في الغالب يشتمل على عدد من الألوفونات المتشابهة، أو التنوعات الصوتية التي يتوقف استعمالها على موقعها في الكلمة، وعلى نوع الأصوات المجاورة لها، فالرمز pيمثل في الكلمات الآتية ثلاثة فونات مختلفة، وإن كانت متقاربة ومتشابهة: sip – spit – pit وعادة لا يفطن المتكلم لمثل هذه الفروق بينها، وتسمى هذه الفونات ألوفونات لهذا الفونيم، وفونات الفونيم الواحد يجب أن تتقاسم بعض الشبه الصوتي، مثل المخرج وكيفية النطق؛ لاستحالة أن يستعمل متكلم اللغة p في pit – وt في tit – وk في kit كـ "فونات" لفونيم واحد(91).

اختبار الفونيم:

إن الوسيلة المثلى لاختبار الفونيم تكون بأخذ الصوتين، ووضع كل واحد منهما مكان الآخر في كلمة معينة، مع احتفاظ هذه الكلمة بباقي حروفها كما هي دون تغيير، فإذا حدث اختلاف في المعنى فهما فونيمان، وإذا لم يؤدِ التغيير إلى اختلاف المعنى فهما فونات لفونيم واحد، وعلى هذا الأساس إذا نحن "غيرنا P الموجودة في pit إلى b، وقلنا bit فستنتج معنى آخر مغايرا، ولذا فهما في الإنجليزية فونيمات لا فونات لفونيم واحد، ولكن إذا حدث تبادل بين الـ p في pit، والأخرى في spit فسنجد الكلمة – على الرغم من ذلك – ما تزال محتفظة بمعناها لدى السامع، ولذا فهما فونات لفونيم"(92). وقد لا يصحب تغير نطق الفونيم تغير في معنى الكلمة، على نحو ما نرى عند تلفظ العرب بصوت/ج/بأشكال صوتية مختلفة، حسب البيئة الجغرافية فيلفظ: جمل – gمل (الجيم القاهرية) – دجمل – تجمل، فتغير نطق هذا الفونيم لا يغير في معنى الكلمة، فالصور الصوتية هي صور لفونيم واحد؛ لأن التغير الصوتي لم يلحقه

تغير دلالي في معنى الكلمة[93]. وعندما نقابل بين السين، والصاد في مثل: سَـادَ وصَـادَ، فـإن الصاد قد لا تكون فونيما مستقلاً " لأنه لا يُستخدم للتفريق بين المعاني في ذلك الموقع، وتغييـره لا يسبب تغييرا في المعنى، فيعد عندئذ فرعًا من فونيم، كما هو الحال في كلمة (مسيطر) التـي تنطق (مصيطر) وذلك بتأثير إطباق الطاء أبدلت السين صادًا... فالشكلان هنا صورتان لفـونيم واحد"[94]؛ ومثل هذه الحالة يسميها دانيال جونز (ديافون)[95]، وإلى مثل هذا أشار ابن جني فـي الخصائص بقوله: "اختلف رجلان فقال أحدهما: الصقر، وقال الآخر: السقر، فتراضيا بأول واردٍ يَرِدُ عليهما، فإذا رجلٌ " قد أقبل فسألاه، فقال: ليس كما قلت أنت، ولا كما قلت أنت، إنمـا هـو الزقر"[96]. فوجود فونيم (الصاد) في الكلمة الأولى، و(السين) في الثانية، و(الزاي) في الثالثة لـم يؤدِ إلى تغيير المعنى، فجميعها تدل على الصقر الطائر المعروف، بذلك فهـي جميعـا فونـات لفونيم واحد؛ لأنه بتبادلها لم يحدث تغيير في المعنى.

والفونيمات قادرة على التمييز بين الكلمات في كل اللغات، لـيس مـن حيـث إبـدالها بفونيمات أخرى فحسب، وإنما من حيث ترتيبها، وموقعها في الكلمة أيضا [97]، على نحـو مـا نرى ذلك في التقابل بين الكلمتين act و cat الانجليزيتين فالفونيمات نفسها /a/+/c/+/t/+، لكـن المعنى مختلف لاختلاف الترتيب، "ويشبه هذا إلى حد كبير فكرة التقاليب، والتباديل في الاشتقاق الأكبر... وهي الفكرة التي بنى عليها الخليل بن أحمد (ت175هـ) معجم العـين"[98]. فحـروف الـ/ع/-/و/-/هـ/-/ج/عنده بتبادل مواقعها تعطي لنا مفردات متباينة كالعوهج، وهي: الظبيـة الجميلة. والهجوع، وهو النوم ليلاً[99]، فبتغير موقع الفونيم أو الحرف- لا نوعه - تغير المعنى.

ومن خلال كل ما سبق فإن هذه الإيماءات، التي تم إيرادهـا فيمـا يتعلـق بالـديافون (مسيطر= مصيطر)، واختلاف ترتيب الفونيمات (فكرة التقاليب) العـوهج والهجـوع، وتبـاين صورة الفونيم، واتفاق معنى المفردة (الصقر، والزقر، والسقر)، كلها مباحث لغوية كان للعـرب

فيها السّبق، والرِّيادة، درسها مستشرقو الغرب وعلماؤهم، وصاغوها بعباراتهم، ووشَّحُوها بأفكارهم، ثم تلقَّفْنَاها عنهم غافلين عن أنها بضاعتنا وقد رُدَّت إلينا.

- الحركة فونيم:

إن الصوائت القصار – الحركات – في العربية تُعَدُّ هي الأخرى فونيمات في الكلام العربي، فكلُّ حركة من هذه الحركات تُعَدُّ عائلة، أو أسرة صوتية تظهر تنوعاتها في الكلام المنطوق عادة، فالفتحة الأولى في قولنا (بَطَرَ) مثلاً، غير الفتحة الثانية من الناحية الصوتية، وغير الفتحة الثالثة، وتُعَدُّ هذه الفتحات الثلاث المختلفة صوتيا في كلمة (بطر) تنوعاتٍ، أو أفرادًا للفونيم نفسه، فلو وُضعت أيّ واحدة منها مكان واحدة أخرى في أيّ كلمة، من الكلمات العربية لما تغير معناها[100]. والذي يؤكد لنا أن هذه الرموز المتناهية الصغر، تعد فونيمات في اللغة العربية، هو أن الفتحة مثلاً لو أُبْدِلت بحركة أخرى في كلمة ما، لأعطت الكلمة الثانية دلالة جديدة، لاحظ ذلك مثلاً في(بَتَرَ) بمعنى: قَطَعَ (فعل) فعل ماض مبني للمعلوم، أما إذا استبدلنا الفتحة الأولى بضمة، والثانية بكسرة لصارت (بُتِر) بمعنى: قُطِع (فُعِل) فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ للمجهول. وهكذا فقد تحكمت الحركة (الفونيم) في دلالة الفعل، فحولته من البناء للمعلوم إلى البناء للمجهول، وكذلك هو الحال بالنسبة لكلمة (كَتَبَ) فعل ماض مبني للمعلوم على وزن فَعَلَ، أما إذا استبدلنا الفتحات الثلاث بضمات ثلاث فإنها تصير (كُتُبٌ) جمع (كتاب) على وزن فُعُل. فتحكمت الحركة (الفونيم) في طبيعة المفردة، وحولتهما من الدلالة على الحدث إلى الدلالة الاسمية. ومن ذلك نخلص إلى أنه " ثمة تقابل في العربية بين الفتحة، والضمة، فكلمة كَرَم اسم في العربية، ولكن كَرُم فعل، فالفتحة في العربية فونيم، والضمة فونيم؛ كما أن الكسرة فونيم لأننا نقول: سَفْرٌ بمعنى جماعة المسافرين، وسِفْر بمعنى الكتاب"[101]، وهذا استشهاد أورده بعض

الباحثين للتأكيد بأن الفونيم " أصغر وحدة صوتية تصلح في التحليل الألسني، بحيث تبعث صورته اختلافات صرفية، ونحوية، ومفهومية، ودلالية"[102].

الأمثلة: – درستُ ← + تُ

– درستَ ←+ تَ

– درستِ ← + تِ

– درستْ ← + تْ

– درس ← – ت

فبالنظر للتاء الساكنة، أو المتحركة فيما سبق من أمثلة نجدها تحمل معنى الشخص:

– المتكلم ← + تُ

– المخاطب ← + تَ

– المخاطبة ←+ تِ

– الغائب← – ت

وتحمل معنى الجنس، أي النوع:

– المذكر ←+ تُ (للذكر المتكلم)//أمّا + تَ (فللذكر المخاطب).

– المؤنث ←+ تِ (للمؤنثة المخاطبة)//أمّا + تْ (فللأنثى الغائبة).

وكذلك يحمل الفونيم معنى العدد، وذلك نحو:

– رأيت المعلّمِينَ ←نَ = الجمع (ثلاثة ما فوق).

– رأيت المعلّمَينِ ←نِ= التثنية.

وكذلك يحمل الفونيم معنى معجميا، ومثاله:

– جاء ذو علم ← اسم الذات + مذكر+ مرفوع + الملكية

- رأيت ذا علم ← اسم الذات + مذكر+ منصوب + الملكية
- مررت بذي علم ← اسم الذات + مذكر + مجرور + الملكية

فالفونيم بعد ذلك وسيلة لتحليل الكلمة، إلى أصغر وحداتها الصوتية؛ لأنه يعمل كَسِمَة، وعلامة تحمل إشارات إيجابية (+ ت) أو سلبية (– ت) تحمل طبيعة صوتية فونولوجية، تفصل كل صوت عن غيره، وتجعله يختلف بالإشارة إلى نِدِّه، أو ينفصل عنه[103].

وهكذا نرى أن النظريات قد تعددت حول الفونيم والْمَعْنِيُّ واحدٌ، وتباينت الأهدافُ والمأرب واحد، واختلفت زوايا النظر، وتشعبت السبل، إلا أنها جميعا لم تخرج عن حصر أهمية الفونيم في الآتي:

1- إن الفونيم وسيلة مهمة في تيسير تعلم اللغات وتعليمها؛ وبخاصة اللغات الأجنبية عن متكلم اللغة؛ لأن فونيمات أي لغة تقل عن الأصوات المنطوقة حقيقة إلى حدٍّ كبير[104].

فصوت (الفاء) في العربية مثلاً صوت شفوي، أسناني، رخو، مهموس، مرقق، يتحول في السياق الكلامي إلى عدة فاءات تتأثر بصفات الأصوات المجاورة لها، سواء أتقدمت عنها أم تأخرت، فالفاء المجاورة لصوت مفخم تكتسب به صفة (التفخيم) أما الفاء المجاورة لصوت مرقق فإنها على العكس من ذلك، كما أن هذه الفاء تتأثر بنوع الحركة الخاصة بها، وكذلك بحركة الحروف السابقة، واللاحقة لها، فالفاء المسبوقة بفتح تختلف صوتيا عن الفاء المسبوقة بكسر وهكذا، وبتأمل العبارات الآتية المحتوية على صوت الفاء، يجد الناظر نفسه أمام مجموعة من الفاءات المتنوعة، وهي ما تسمى بالألوفونات للفونيم الواحد، أي: التنوعات الصوتية لصوت الفاء{ فاز فوزي في تنافسه فجرا، ورفاقه لم يفوزوا – فَطَّنت فيروز الفِطَحْل فريدًا بفِرار الفريق} فجمع هذه الفاءات تحت رمز واحد/ف/يُسَهِّل عملية تعلم اللغة وتعليمها.

2- **إن الفونيم تعمل على التمييز بين كلمة وأخرى، وتفرق بين الكلمات دلالة، ونحوا، وصرفًا**، فكلمة (نام) تختلف عن (قام) في الدلالة، أو المعنى لوجود فونيم (النون) في الكلمة الأولى، وفونيم (القاف) في الثانية، وهناك فرق بين (مِن) بكسر الميم، و(مَن) بفتحها في النحو والدلالة معاً، فالأولى حرف جر...والثانية اسم استفهام، أو اسم موصول، أو اسم شرط، ويرجع هذا التفريق إلى وجود فونيم الكسرة في الكلمة الأولى، وفونيم الفتحة في الثانية"[105]. وكذلك هو الحال في نحو: رَكَبَ، ورَكْبٌ فوجود فونيم الفتحة على الكاف في الكلمة الأولى، كان بمثابة الأساس في التفريق بين الكلمتين، فكانت الكلمة الأولى فعل، والكلمة الثانية اسم.

3- **الفونيم تساعد على ابتكار أبجديات منظمة ودقيقة للغات الحية**[106]، وذلك لأن الفونيم الواحدة لها عدة أصوات، حسب السياق الفعلي كما عرفنا آنفا، وهذا يصل بنا إلى أعداد ضخمة من الأصوات، كل صوت منها في حاجة إلى رمز مستقل[107]، ولا يخفى ما في مثل هذا الأمر من صعوبة وإعضال، وذلك لأن أصوات أيّة لغة تفوق العدد الفعلي لحروفها، أو رموزها أضعافا كثيرة، فكان الخروج من هذه المعضلة بالالتجاء إلى فكرة الفونيم الواحد للأصوات المتعددة، من أجل الوصول إلى أبجدية منظمة تؤدي الغرض منها، وتُعبّر عن أفكار متكلميها بكل سهولة ويسر.

وقد بصّرت اللغويين بأساليب وطرق للتحليل، بل أنها غَدَتْ – عند بعضهم – علما قائما برأسه، وهو ما يطلق عليه في اللغة الانجليزية (phonemics أو Phonematics)[108]، وعلم الفونيم هو العلم " الذي يعالج الخصائص الصوتية الوثيقة الصلة بلغة معينة من وجهة نظر إحساس المتكلمين، وهنا نجد أمامنا غالبا مجاميع من الأصوات المتشابهة فونيمات"[109]، والفونولوجيا، أو علم وظائف الأصوات هو الذي " يدرس الصوت الإنساني في تركيب الكلام،

ودوره في الدراسات الصرفية، والنحوية، والدلالية في لغة معينة، كدراسة أصوات اللغة العربية، ودورها في الصرف العربي، وفي تراكيب اللغة العربية، ودلالاتها"[110]، و"علم الفونولوجيا يَعتْبر الفونيم وحدة متميزة للتعبير الصوتي"[111].

المبحث الثاني

أولاً: بين الصوت والحرف:

أ-عند علماء التراث العربي:

إن القدماء من علماء العربية استخدموا مصطلحي الصوت، والحرف في مؤلفاتهم، وقد كانوا يستخدمون الكلمتين بمعنى واحد أحيانا، وقد يفرِّقون بينهما في الاستعمال أحيانا أخرى[112]، وهذا عرض موجز لآراء بعض علماء العربية بالخصوص:

1- **الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ):** استخدم الخليل بن أحمد مصطلح الحرف في مؤلفه العين، كما استخدم نظام التقاليب الصوتية[113]، وبالنظر إلى هذا المؤلف نلاحظ عن كثب أن الخليل قد استخدم مصطلح الحرف، وقصد به الفونيم بالمعنى المعاصر[114]، وفكرة التقاليب الصوتية من أهم الأسس التي تقوم عليها نظرية الفونيم في الدرس اللغوي الحديث.

2- **سيبويه:** أورد سيبويه في الكتاب مصطلحي الصوت والحرف، ولم يضع تفريقًا بين المصطلحين، على نحو ما نرى عند سواه فقد استخدمهما بمعنى واحد تقريبا، فالصوت المجهور عنده " حرف أشبع الاعتماد في موضعه ....وأما المهموس فحرفٌ أضعف الاعتماد في موضعه"[115]، وقد أورد سيبويه في تضاعيف كتابه مصطلحي الصوت، والحرف واستخدمهما بمعنى واحد، ففي أثناء حديثه عن الأصوات، أشار إلى أن أصول حروف اللغة العربية تصل إلى تسعة وعشرين حرفًا، وأضاف إلى هذه الأصول ستة فروع

أصلها من التسعة والعشرين[116]؛ وبالرغم من أن سيبويه قد فرّق بين أصول الحروف، وفروعها فإنه " لم يفرق بين اصطلاحي الحرف والصوت، على نحو ما يفرق علم اللغة الحديث بين اصطلاحي phonem و Sound أو allophone فالحرف لديه يشمل كل ذلك"[117].

3-ابن جني: يفرق ابن جني بين مصطلحي الصوت والحرف، والدارس لمؤلفيه (الخصائص، وسر صناعة الإعراب) يلمسُ ذلك التفريق، فالصوت عنده "عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق، والفم، والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده، واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعهما، وإذا تَفَطَّنْتَ لذلك وجدته على ما ذكرته لك، ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له جرسًا ما، فإن انتقلت منه راجعًا عنه، أو متجاوزًا له، ثم قطعت أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول، وذلك نحو (الكاف) فإنك إذا قطعت بها سمعت هناك صدى ما، فإن رجعت إلى (القاف) سمعت غيره، وإن جزت إلى الجيم سمعت غير ذَيْنَكَ الأولين"[118]. أما الحرف عنده فهو " حدٌّ منقطع الصوت وغايته وطرفه "[119]، فابن جني يفرق بين الصوت والحرف، والصوت عنده – فيما يبدو – هو "صوت ذبذبة الأوتار الصوتية"، أما الحرف فإنه يرادف في كلامه ما يسمى " بمخرج الصوت "[120].

د-ابن سينا: ومثل فهم ابن جني لمعنى الصوت، والحرف نجده عند ابن سينا، فقد وضع كتاباً بعنوان " أسباب حدوث الحروف جاعلاً الفصل الأول بعنوان" في سبب حدوث الصوت"، أما الفصل الثاني فقد جعل عنوانه " في سبب حدوث الحروف"[121]، فإفراد ابن سينا لكل من الصوت، والحرف فصلاً مستقلا عن الآخر دليل على استشعاره بمدى الفرق بينهما، واستحالة استخدامهما بمعنى واحد، فأشار مثلاً – إلى أن سبب حدوث الصوت هو "تموج الهواء

دفعة وبقوة، وبسرعة من أيّ سبب كان"[122]. أما الحرف فهو "هيئة للصوت عارضة له، يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة، والثقل، تميزًا في المسموع"[123].

هـ-الأشعري: أما الأشعري فقد نقل عنه بعضهم أنه يقول: "وقال آخرون: الكلام حروف، والقراءة صوت، والصوت عندهم غير الحرف"[124]، وهذا تفريق صريح منه بين الصوت والحرف، بشكل واضح إذ جعل الحروف للألفاظ، والأصوات للملفوظات، والصوت عنده غير الحرف.

وهكذا فقد دفع الحس اللغوي المرهف علماء العرب القدامى (الخليل – ابن سينا – الأشعري) وغيرهم، للتفريق بين الصوت والحرف، وقد جعلت المعرفة الواسعة بأصول التشريح، وعلم الطب ابن سينا أكثر وعيا بمخارج الحروف، ومواضع نطق الأصوات اللغوية، فوضع رسالة لغوية خاصة لتبيين الفرق بين الصوت والحرف، اعتمد عليها كثير ممن تناول الموضوع ذاته، قديما أو حديثا، أما سيبويه فقد دفعته اهتماماته النحوية، وهو يضع الأسس الأولى لعلم النحو العربي، لعدم الخوض في موضوع الأصوات والحروف، كما أن الكتاب هو المؤلَّف اللغوي الوحيد لسيبويه، والذي وافته المنية قبل أن يضع له اسما، ولو أنه زاد في التأليف لكان قد كتب في هذا الموضوع، على نحو ما نرى عند غيره من علماء العربية القدامى.

2-عند المحدثين:

صارت قضية الصوت والحرف (الفونيم) من بين أهم القضايا، التي أبدى لها المحدثون اهتماما كبيرا، فكتبوا فيها الدراسات، والبحوث، ووضعوا فيها الكتب، ومثّلوا لها التمثيل المدعم بالبرهان والدليل، وهذا عرض لبعض آرائهم بالخصوص:

أ-**دانيال جونز: Daniel Jones:** يرى جونز أنه ينبغي علينا " أن نفرق بين أصوات الكلام و... ما يسمّى بالفونيمات، فالصوت في نظر جونز هو كيانٌ عضوي ذو شكل معروف،

وهيئة فيزيائية محددة، لكنه يفتقر إلى القدرة على التغير حسب البيئات اللغوية المختلفة"[125]، في الوقت الذي يرى فيه أن الفونيم"عائلة لمجموعة من الأصوات تشمل الصوت الأصلي في تلك اللغة، مع عدد الأصوات اللصيقة بذلك الصوت تختلف حسب الطول، والنبر، والنغم"[126].

ب-تمام حسان: يعد تمام حسان ممن كتبوا في هذه القضية كتابة ناضجة، مرفَقَة بالمثل والشاهد، مسْهِبة في العرض والتحليل، وبتقصي كتاباته نقتطف الآتي:

- إن الحروف أقسام يشتمل كل منهما على عدد من الأصوات، أما الأصوات فهي ما تنطقه بلسانك في أثناء الكلام، أما الصور الكتابية التي تخطها بالقلم فهي رموز كتابية لتلك الحروف[127]، "والحروف وحدات من نظام، وهذه الوحدات أقسام ذهنية لا أعمال نطقية، على نحو ما تكون الأصوات"[128]، فالفرق واضح بين العمل الحركي الذي للصوت، والإدراك الذهني الذي للحرف، أي بين ما هو مادي محسوس، وما هو معنوي مفهوم"[129].

- وتشبه الأصوات والحروف، في علاقة كل منهما بالآخر الطلاب والصفوف، وذلك لأن الطالب حقيقة مادية، والصف وحدة تقسيمية "وكما أنني أستطيع أن أنطق الصوت، وأحرك به لساني أستطيع أن أصافح الطالب، وأحرك بمصافحته يدي"[130]، وفي الوقت الذي لا يمكن فيه أن أمدَّ يدي لأصافح صفًّا من الصفوف، التي يتكون منها معهد من المعاهد، فإنني لا أستطيع أن أنطق حرفا من الحروف، التي يتكون منها نظام صوتي ما " ولكنني أصافح الطالب الواحد، من طلاب الصف، وأنطق الصوت المعين من أصوات الحرف؛ لأن الحرف عنوان على عدد من الأصوات، والصف مثله عنوان على عدد من الطلبة"[131]. فالصوت والطالب حقيقتان ماديتان، في حين أن الحرف، والصف قسمان من نظام يضم غيرهما من الأقسام، والقسم في الحالتين فكرة ذهنية لا حقيقة مادية، وهذه الفكرة الذهنية تضم في إطارها مجموعة من الحقائق، فالصف مثلاً: يضم خالدا وعَمْرًا...إلخ، والحرف يضم عددا من العمليات النطقية، وكما أن

الصف يسمى باسم معين، كالصف الأول أو الثاني، فإن الحرف كذلك يسمى باسم معين كـالألف أو الباء، ثم أن الحرف جزء من تحليل اللغة، أما الصوت فهو جزء من تحليل الكلام[132].

ج-عصام نور الدين: يرى أن الصوت هو ما نسمعه، ونحسه، أما الحرف فهو الرمز الكتابي الذي يعد وسيلة منظورة للتعبير عن صوت معين، أو مجموعة من الأصوات لا يؤدي تبادلها في الكلمة إلى اختلاف المعنى، والحرف هو ما يطلق عليه الغربيون اسم فونيم = وحدة صوتية = عائلة صوتية[133].

وبهذا فإننا في إطار الدراسة الصوتية، وفي خضم البحث عن الأطر العلمية التي اعتمدت عليها نظرية الفونيم، نجد أنفسنا أمام عدد من المصطلحات، التي تتباين فيما بينها تباينا دقيقا، والتي تدور جميعها في فلك واحد، كالحرف، والصوت، والفونيم، والألوفون، والرمز الكتابي وغيره، فالرمز الكتابي مثلاً، هو الصورة الخطية المادية المتعارف عليها، باعتبارها رمزا لحرف معين، كحرف الباء مثلاً، والذي يأخذ الصورة الآتية/ب/أما كلمة الحرف فإنها تمثل المقصود بذلك الرمز، أما الصوت فإنه التجسيد النطقي لتلك الصورة، وذلك الحرف تجسيدا فعليا محسوسا، أو هو الأثر السمعي لذلك الحرف، وبذلك فالحرف هو الأصل، والصوت هو ما تفرع عن ذلك الأصل، فالحرف إذن صورة عامة يندرج تحتها عدد من المتغيرات المختلفة من الناحية النطقية، والفونيم مرادف للحرف، فهو عائلة صوتية لمجموعة من الأصوات التي تأخذ تنوعات مختلفة، هي ما تعرف في الدراسة الصوتية بالألوفونات.

ثانيا: الكتابة الصوتية والكتابة الفونيمية.

لعل أفضل ما يمكن أن تبدأ به هذه الجزئية من هذه الدراسة، مقولة شهيرة لفندريس جاء فيها إننا " لسنا في حاجة إلى القول بأننا لا نستطيع إحصاء الأصوات، في لغة ما بعدد

الحروف الموجودة في أبجديتها، فكل لغة فيها من الأصوات أكثر مما في كتابتها من العلامات، تلك حال الفرنسية، والإيطالية، والإنجليزية، والألمانية، ومع ذلك فإن عدد الأصوات في أية لغة لا يكاد يتعدى الستين عادةً، بل يمكن أن ينزل عن ذلك نزولاً محسوسًا"[134]. فتناهي فونيمات اللغة، وعدم تناهي أصواتها أدّى إلى لجوء اللغويين إلى " استعمال طريقتين كتابيتين لتمثيل أصوات اللغة بشكل يخلصهم من العيوب، والتناقضات الموجودة في طرق الكتابة الاصطلاحية"[135]. وهاتان الطريقتان هما: الكتابة الصوتية – الكتابة الفونيمية.

1- **الكتابة الصوتية:** هي التي تستعمل الأبجدية الصوتية الدولية، ويقصد بها مجموعة من الرموز الكتابية، التي اتفقت عليها الجمعية الصوتية الدولية؛ للتعبير عن أصوات اللغات وفونيماتها، وهي أبجدية تستخدم الرموز اللاتينية أساسًا[136]، وتعد من الناحية النظرية ممثلة لأصوات الكلام، وهي كتابة يمكن أن تستخدم لكتابة أية لغة من اللغات، وإن اختص بعض رموزها بلغةٍ ما دون غيرها[137]، والأبجدية الصوتية تمثل رمزا واحدا لنطق أي صوت "مهما كانت الاختلافات طفيفة كالرمز إلى فتحات كلمة "دَرَسَ" فهي مختلفة حكما في الأبجدية الصوتية"[138].

وتهدف الكتابة الصوتية لتمثيل الأصوات الحية في اللغة، أي المستعملة في الزمن الحاضر – وجعل هذا الألفباء عالميا يستخدمه كل الباحثين في العالم أجمع – واستعمال رمز واحد للصوت الواحد، مهما كانت اللغة التي ينتمي إليها – واستعمال أكبر عدد ممكن من الرموز الألفبائية اللاتينية[139].

2- **الكتابة الفونيمية:** إن الكتابة الفونيمية " أكثر اقتصادًا للوقت، وعدد الرموز، ولكنها من ناحية أخرى تختصُّ بلغة واحدة، وتقتضي معرفة كاملة بالتركيب الفونيمي لتلك اللغة"[140]، فالأبجدية الفونيمية " رمز واحد للفونيم الواحد الذي يغير المعنى، مهما اختلفت ألوان

نطقه"[141]، إلا أن ما ينبغي الإشارة إليه هو أن " اللغات لم تُوَفَّق تماما في جعل كل حرف من حروف أبجدياتها يدل على صوت محدد، بمعنى حرف واحد للصوت الواحد ... وصوت واحد للحرف الواحد؛ لذلك لا يوجد شعب من شعوب الكرة الأرضية، إلا ويشكو من نظام الكتابة في لغته، إن قليلاً وإن كثيرا غير أن ما تعانيه اللغتان الفرنسية، والانكليزية .... قد يفوق ما في غيرهما"[142]، ولعل من الطريف أن نشير إلى سخرية (برنارد شو) من الأبجدية الإنجليزية في قوله: "إن الحروف Tio من كلمة nation تلفظ sh = ، وحرف o من كلمة women يلفظ i = ، وأن الحرفين gh من كلمة cough يلفظان f = ، فإذا جمعنا هذه الحروف من تلك الكلمات الثلاث بلفظها لكونت: GH←(f)←(o)←(I)←tio←sh←fish ، مما يعني أن كلمة fish (سمك) يجب أن تكتب في الإنجليزية Ghotio، فهل تلفظ كلمة Ghotio كما تلفظ كلمة fish؟! ومن ذلك نرى أن سخرية برنارد شو هذه تشير إلى المأساة التي يعاني منها الناطقون باللغة الإنكليزية، فهذه اللغة لا تعتمد – مثلها في ذلك اللغة الفرنسية في مواضع كثيرة – حرفا واحدا للصوت الواحد، بل قد ترمز للصوت الواحد بأكثر من حرف واحد"[143].

أما الأبجدية العربية فإنها " واحدة من تلك الأبجديات التي تتضمن فكرة الرمز الواحد للصوت الواحد"[144]، فكل رمز في اللغة العربية " يرمز إلى فونيم مستقلة بقطع النظر عن أصواتها المختلفة، فللباء رمز، وللتاء رمز، وللثاء رمز... إلخ، والحركات لم تكن لها رموز أول الأمر، ثم ابتكرها العلماء حين فطنوا إلى خطورتها، وجعلوا لها العلامات المعروفة، وهي (ـَـ / ـِـ / ـُـ) للدلالة على الفتحة، والكسرة، والضمة حين تكون قصيرة، ورمزوا إليها حين تكون فونيمات طويلة بالألف، في نحو: قال، والياء، في نحو: قيل، والواو، في نحو: يَسْمُو"[145]. وإذا تأملنا طريقة الكتابة الفونيمية أدركنا أن الكتابة المعروفة لدينا " وسيلة ناقصة

لتسجيل أصوات اللغة، فقد قامت الأبجديات المختلفة...على أساس الرمز لكل " فونيم " برمز كتابي معين، يدل على جميع أفراد عائلة هذا الفونيم، ولم تخصص هذه الأبجديات رموزا معينة لفروع الفونيمات المتعددة، وهذه إحدى عيوب تسجيل اللغة بالكتابة (فا)لأجنبي الذي يتعلم اللغة العربية بواسطة الكتاب، لا يستطيع أن يدرك فروع فونيم "النون" في تلك اللغة مثلاً، ولذلك فإنه سينطقها، أو يحاول نطقها كلها بطريقة واحدة"[146]. ولأجل ذلك "حاول بعض اللغويين وضع رمز واحد لكل صوت، فتعددت الرموز لكل صوت، لتعدد الهيئات والأفراد الذين وضعوها" [147]، ومن أبرز تلك الرموز ما يلي:

الهمزة: وتسمى الوقفة الحنجرية، وهي همزة القطع ورمزها (p)/الباء: وهو صوت شفوي شديد مجهور، ورمزه (b)/

التاء: ورمزه (t)/الدال: ويرمز لها بالرمز (d)/الراء: وتكون مفخمة، ومرققة ورمزها (r)/الزاي: ورمزها (z)/السين: ورمزها (s)/القاف: ويرمز للقاف العربية الفصحى بالرمز (q)/الكاف: ويرمز له بالرمز (k)/الميم: ويرمز لها عندما تكون ظاهرة بالرمز(M) [148]. وهذا بيان لهيئة بعض الرموز الأساسية للأبجدية الصوتية الدولية:

- C: الفرنسية المحلية في q uai، والفارسية k في yak .
- G: الجيم القاهرية ، والفرنسية g في gare، وفي الانجليزية get .
- Q: العربية "ق" في (قابل) في لغة الاسكيمو k.
- G : الفارسية "ق".
- S: العربية "س" في (وسائل) وفي الانجليزيةsee وفي الفرنسية son.
- V: الفرنسية v في voile.
- X: الاسكتلندية chفي loch ، والإسبانية jفي hijo [149].

وتظل فكرة إنشاء أبجدية صوتية دولية، أو عالمية رهن التطـــوير الـــدائم؛ للاخـــتلاف الفطري بين الألسن من جهة، وللتطور اللهجي للألسن البشرية بتقدم العصور من جهة أخـــرى، وإن كان من الصعوبة بمكان إنشاء أبجدية عالمية تستوعب الألسن البشـــرية كافـــة، واللغـــات الإنسانية قاطبة، وتكون خالية من العيوب والانتقادات، فإنها ستكون أقرب ما يكون إلى صـــورة الأبجدية الأم، التي بإمكانها التعبير عن اللغة الأم، التي نطقهـــا الإنســـان الأول، وهـــو يضـــع خطواته الأولى المتعثرة على كوكب الأرض، وستكون خطوة في الطريـــق الصـــحيح؛ لإثبـــات وحدة الجنس البشري منذ فجر التاريخ.

خلاصة ونتائج:

- الفونيم وحدة صوتية صغرى، لا يمكن تجزئتها إلى وحدات أصغر منها، وتكتسب المفـــردة بهذه الوحدة معنى خاصًا، يتغير هذا المعنى بتغير تلك الوحدة.
- تعريب المصطلح الغربي بـــ (الفونيم) هو السبيل الأمثل، لخروجنـــا مـــن فوضـــى تبـــاين المصطلح، واضطراب المفهوم في الساحة اللغوية.
- تباين وجهات النظر حول الفونيم أغنى المكتبة اللغوية بعددٍ مـــن النظريـــات، والدراســـات، والبحوث التي أثرت الجانب اللغوي، وأغنته على مستوى البحث، والتنظير.
- الوصول لنظرية متكاملة في الفونيم لا يكون إلا من خـــلال الـــدمج بـــين ســـائر الـــرؤى، والنظريات المتعلقة بالموضوع، وتلافي وجوه القصور فيها، والنظر للفونيم على أنه وحـــدة صوتية مستقلة تتمتعُ بوجودٍ ماديٍّ ومعنويٍّ، وتؤدي وظيفةً لغويةً واجتماعيةً.
- ترتكز نظرية الفونيم على أبرز القضايا الجوهرية في التراث اللغوي العربي، كـــ (الإتبـــاع اللغوي– المثلثات – الجناس الناقص، فكرة التقاليب، وتباين صورة الفونيم، واتفـــاق معنـــى

المفردة، الفرق بين الصوت والحرف....) وكلُّها مباحث لغوية كان للعرب فيها السّبق، والرِّيادة، درسها مستشرقو الغرب وعلماؤهم، وصاغوها بعباراتهم، ووشحوها بأفكارهم، وتلقفناها عنهم غافلين عن أنها بضاعتنا وقد رُدَّت إلينا.

- تعددت النظريات اللغوية المتناولة للفونيم، واختلفت في المنهج والأسلوب، واتفقت جميعها على أهمية الفونيم في الساحة اللغوية، كما أن تغير صورة المفردة تبعا لتغير عدد، أو نوع فونيماتها يلزم عنه حدوث تغير صرفي، ودلالي في المفردة ذاتها.
- الرمز الكتابي هو الصورة الخطية المادية للحرف، أما الصوت فإنه التجسيد النطقي لتلك الصورة، وذلك الحرف تجسيدا محسوسا، أو هو الأثر السمعي لذلك الحرف، وبذلك فالحرف هو الأصل، والصوت هو ما تفرع عن ذلك الأصل، فالحرف صورة عامة يندرج تحتها عدد من المتغيرات المختلفة من الناحية النطقية، والفونيم مرادف للحرف، فهو عائلة صوتية لمجموعة من الأصوات التي تأخذ تنوعات مختلفة، هي ما تعرف في الدراسة الصوتية بالألوفونات.
- إن فكرة إنشاء أبجدية صوتية دولية، أو عالمية قد تمثل الصورة الأقرب للتعبير عن اللغة الأم، التي نطقها الإنسان الأول، وهو يضع خطواته الأولى المتعثرة على كوكب الأرض، وقد تميط اللثام عن عددٍ من التساؤلات، التي ظل العلماء عاجزين عن معرفة أسرارها ردحًا من الزمن.

الهوامش والمصادر:

(1) مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان (الدار البيضاء: دار الثقافة، 1985م) ص157.

(2) ينظر: علم اللسانيات الحديثة، عبد القادر عبد الجليل(عمان: دار صفاء للنشر، 2002م) ص303.

(3) ينظر: دراسة الصوت اللغوي ، أحمد مختار عمر، ط 2، القاهرة، 1978م، ص139.

(4) علم اللغة، التمهيد في علم اللغة ودراسات صوتية، عبد الله عبد الحميد سويد، عبد الله علي مصطفى، مراجعة سعدون السويح (طرابلس- ليبيا: دار المدينة القديمة للكتاب 1993م) ص197.

(5) ينظر: علم الأصوات، برتيل مالبرج، تر: عبد الصبور شاهين، القاهرة، 1986م، ص229.

(6) نظرات في اللغة، محمد مصطفى رضوان (بنغازي: جامعة قار يونس، 1976م) ص252.

(7) علم الصوتيات دراسة مقارنة، محمد سعيد احديد، محمد محمد زريق (الزاوية: جامعة السابع من أبريل، 1991م) ص43.

(8) ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، ط2 (بيروت: مكتبة لبنان، 1984م) ص432.

(9) مدخل إلى علم اللغة، محمد سعيد احديد (الزاوية: جامعة السابع من أبريل، 1990م) ص47.

(10) المدخل إلى علم الأصوات، دراسة مقارنة، صلاح الدين صالح حسنين (العجوز: دار الاتحاد العربي، 1981م)ص61.

(11) مدخل إلى علم اللغة، ص122.

(12) المصدر نفسه، ص45.

(13) المصدر نفسه، ص47-48.

(14) المصدر نفسه.

(15) المصدر نفسه، ص48.

(16) ينظر: هامش علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، عصام نور الدين (بيروت: دار الفكر، 1992م) ص64.

(17) علم الصوتيات: ص99.

(18) المصدر نفسه.

(19) المصدر نفسه.

(20) المصدر نفسه، ص100.

(21) أسس علم اللغة، ماريو باي، تر: أحمد مختار عمر (طـرابلس: كليـة التربيـة، 1973م) ص49.

(22) علم وظائف الأصوات اللغوية، ص65.

(23) التمهيد في علم اللغة، محمد خليفة الأسود (طرابلس: الجامعة المفتوحة، 1991م) ص57.

(24) علم وظائف الأصوات اللغوية، ص39.

(25) دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ط3 (القاهرة: عالم الكتب، 1985م) ص147.

(26) علم وظائف الأصوات اللغوية، ص62.

(27) ينظر: المصدر نفسه، هامش ص57.

(28) المصدر نفسه.

(29) الأصوات ووظائفها، محمد منصف القماطي (طرابلس: كلية التربية، 1986م) ص131.

(30) ينظر: معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، عربي انكليزي وانكليزي عربي، محمد حسن باكلا وآخرين (بيروت: مكتبة لبنان، 1983م) ص73.

(31) ينظر: معجم المصطلحات في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، ط2 (بيـروت: مكتبة لبنان، 1984م) ص342، 432.

(32) دروس في الألسنية العامة، فردينان دي سوسير، تر: صالح القرمادي ، محمد الشـاوش، محمد عجينة (تونس: الدار العربية للكتاب، 1985م) ص72 .

(33) ينظر: معجم علم الأصوات، محمد علي الخولي (الريـاض: جامعـة الريـاض، 1982م) ص127.

(34) ينظر: مجلة الفكر العربي، ع 8 – 9 ، نقلا عن: الأصوات ووظائفها، ص 131.

(35) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، ط3، ص139، 165.

(36) نظرات في اللغة، ص255.

(37) الأصوات ووظائفها، ص135.

(38) ينظر: نظرات في اللغة، ص256.

(39) المدخل إلى علم الأصوات، ص61.

(40) المصدر نفسه.

(41) دراسة الصوت اللغوية، ط3، ص149.

(42) علم اللسانيات الحديثة، ص307.

(43) المدخل إلى علم الأصوات، ص62.

(44) ينظر: الأصوات ووظائفها، ص133.

(45) نظرات في اللغة، ص254.

(46) ينظر: المصدر نفسه، ص254 – 255، وينظر: علم الأصوات، كمال بشـــر(القاهرة: دار غريب، 2000م) ص485 – 486.

(47) ينظر: نظرات في اللغة، ص255.

(48) ينظر: المدخل إلى علم الأصوات، ص62.

(49) بتصرف: دراسة الصوت اللغوي، ط 3، ص150.

(50) المصدر نفسه، ص151.

(51) المصدر نفسه.

(52) المدخل إلى علم الأصوات، ص62.

(53) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، ط 3 ، ص151–152.

(54) ينظر: المصدر نفسه، ط3، ص152.

(55) علم اللسانيات الحديثة، ص 305 ، 306.

(56) نظرات في اللغة، ص257.

(57) دراسة الصوت اللغوي، ط 3 ، ص152.

(58) ينظر: المصدر نفسه، ص152–153.

(59) ينظر: علم اللسانيات الحديثة، ص307.

(60) المصدر نفسه.

(61) المصدر نفسه، ص207 – 308.

(62) ينظر: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، صالح سليم عبد القادر (سبها: جامعة سبها، 1988م) ص119.

(63) ينظر: الأصوات ووظائفها، ص137–138.

(64) للمزيد ينظر: مدخل إلى علم اللغة، ص45– 46.

(65) الأصوات ووظائفها، ص141.

(66) ينظر: المصدر نفسه.

(67) ينظر: المصدر نفسه، ص141–143.

(68) معجم المصطلحات في اللغة والأدب، ص11.

(69) الأصوات ووظائفها، ص141–142.

(70) معجم المصطلحات في اللغة والأدب، ص 11–12.

(71) الأصوات ووظائفها، ص142.

(72) معجم المصطلحات في اللغة والأدب، ص333.

(73) الأصوات ووظائفها، ص142.

(74) ينظر: الدرر المبثثة في الغرر المثلثة، للفيروز آبادي، شرح وتحقيق: الطاهر أحمد الزاوي، الدار العربية للكتاب، 1987م، ص11.

(75) ينظر: المصدر نفسه، ص52.

(76) المصدر نفسه.

(77) ينظر: مثلثات قطرب، تحقيق ودراسة ألسنية، رضا السويسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا–تونس، 1978م، ص121.

(78) ينظر: المصدر نفسه، ص11، 12.

(79) ينظر: علم البديع، عبد العزيز عتيق (بيروت: دار النهضة العربية، 1985م) ص205.
(80) علم وظائف الأصوات اللغوية، ص73-74.
(81) الأصوات ووظائفها، ص136.
(82) ينظر: المصدر نفسه، ص137.
(83) ينظر: نظرات في اللغة، ص252-253.
(84) علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت) ص194.
(85) نظرات في اللغة، ص253.
(86) علم الصوتيات، ص93.
(87) ينظر: المصدر نفسه، ص93-94.
(88) المصدر نفسه.
(89) ينظر: نظرات في اللغة، ص253.
(90) ينظر: م . ن، ص253-254.
(91) بتصرف: أسس علم اللغة، ط8، 1998م، ص88-89.
(92) ينظر: المصدر نفسه، ط8، ص89 - 90.
(93) ينظر: علم وظائف الأصوات اللغوية، ص66.
(94) علم الأصوات اللغوية، مناف مهدي الموسوي (الزاوية: جامعة السابع من أبريل، 1993م) ص109-110.
(95) ينظر: هامش المصدر نفسه ، ص110.
(96) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، ج3، تحق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية للكتاب، 1986م، ص306.
(97) ينظر: مقدمة لدراسة علم اللغة، حلمي خليل (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1992م) ص69.

(98) مقدمة لدراسة علم اللغة، ص70.

(99) ينظر: العين، للخليل بن أحمد، تحق: مهدي المخرومي وآخرين (إيران – تم: دار الهجرة، 1405هـ) 98/1.

(100) ينظر: علم اللغة، ص194–195.

(101) علم اللغة، ص196–197.

(102) علم وظائف الأصوات اللغوية، ص39. { ففونيم التاء الساكنة أو المتحركة يستعمل في تمييز الشخص، والجنس، والعدد، والمعنى المعجمي}

(103) ينظر: علم وظائف الأصوات اللغوية، ص39–40.

(104) ينظر: نظرات في اللغة، ص257–258.

(105) نظرات في اللغة، ص258.

(106) المصدر نفسه.

(107) ينظر: المصدر نفسه.

(108) الأصوات ووظائفها، ص135.

(109) أسس علم اللغة، ص88.

(110) علم الأصوات اللغوية، الفونيتيكا، عصام نور الدين (بيروت: دار الفكر اللبناني، 1992م) ص24.

(111) علم وظائف الأصوات اللغوية، ص62.

(112) ينظر: المدخل إلى علم اللغة، ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، ط2 (القاهرة: مكتب الخانجي، 1985م) ص84.

(113) ينظر: العين، للخليل بن أحمد، تحق: مهدي المخرومي وآخرين (إيران – تم: دار الهجرة، 1405هـ)

(114) ينظر: مقدمة لدراسة علم اللغة، ص70.

(115) الكتاب، كتاب سيبويه، تحق: عبد السلام هارون(مصر الجديدة: الهيئة العامة للكتاب،1975م) 434/4.

(116) ينظر: المصدر نفسه، 431/4-432.

(117) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان (الدار البيضاء: دار الثقافة، د.ت) ص57.

(118) سر صناعة الإعراب، لابن جني، دراسة وتحقيق: محسن هنداوي (دمشق: دار القلم، 1985م) ص6.

(119) المصدر نفسه، 14/1.

(120) المدخل إلى علم اللغة، ص85.

(121) ينظر: رسالة أسباب حدوث الحروف، للشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا، تحق: محمد حسان الطيّان، يحيى مير علم، تقديم ومراجعة: شاكر الفحام، وأحمد راتب النفاخ (دمشق: مجمع اللغة العربية، 1983م) في سبب حدوث الصوت، ص56 وما بعدها، و في سبب حدوث الحروف، ص59 وما بعدها.

(122) أسباب حدوث الحروف، لأبي علي الحسن بن سينا، راجعه وقدم له: طه عبد الرؤوف سعيد (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، 1978م) ص8.

(123) المصدر نفسه، ص10.

(124) ينظر: مقالات الإسلاميين للأشعري، ج2، ص 245، نقلا عن: اللغة العربية معناها ومبناها، ص73.

(125) ينظر: مدخل إلى علم اللغة، ص47.

(126) ينظر: المصدر نفسه، ص47.

(127) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان (القاهرة: دار الثقافة، 1958م) ص120.

(128) المصدر نفسه، ص73.

(129) المصدر نفسه.

(130) المصدر نفسه.

(131) المصدر نفسه.

(132) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص74.

(133) ينظر: علم وظائف الأصوات اللغوية، ص83-84.

(134) اللغة، لفندريس، تر: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، القاهرة، 1950م، ص62.

(135) أسس علم اللغة، ص51.

(136) ينظر: معجم علم الأصوات، ص9.

(137) ينظر: أسس علم اللغة، ص51.

(138) علم وظائف الأصوات اللغوية، ص46.

(139) ينظر: علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية، بسام بركة (بيروت: مركز الإنماء القومي، 1988م) ص163.

(140) أسس علم اللغة، ص52.

(141) علم وظائف الأصوات اللغوية، ص47.

(142) المصدر نفسه ، ص134.

(143) ينظر: علم وظائف الأصوات اللغوية، ص134، 135.

(144) المصدر نفسه ، ص47.

(145) نظرات في اللغة، ص258.

(146) المدخل إلى علم اللغة، ص87 - 88.

(147) علم الأصوات اللغوية، ص111.

(148) ينظر: المصدر نفسه.

(149) ينظر ما سبق وغيره كثير في: علم وظائف الأصوات اللغوية، ص148 - 152.